

روايات للجيب

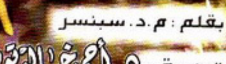
رجفة الخوف 9



رعب على الهضبة







بقلم : م.د. سبنسر



ترجمة : د. أحمد خالد توفيق

الفصل الأول

كان المفترض أن يرى (بول ألبرتى) قمم الجبال المغطاة بالثلج فى شمال إيطاليا لأول مرة فى حياته .

بدلاً من هذا جلس فى المقعد الخلفى لسيارة عمه (فريدى) ، يحدق فى حذائيه الأحمرين الباليين ويحاول ألا يقىء الغذاء الذى تناوله .

قال مستر (ألبرتى) من المقعد الأمامى :

ـ « هلم يا بول .. يمكنك الحملقة فى حذائيك عندما تعود لشيكاغو .. انظر من النافذة فأنت تضيع منظرًا رائعًا ! »

كان أبو بول يعرف أفضل المناظر فقد نشأ فى هذه الجبال قبل أن يهاجر للولايات المتحدة فى شبابه .

أنَّ (بول) وقال :

ـ « لا أقدر .. »

كان يحاول تقليل حركته وأن يتكلم ببطء كى يقلل من أية هزة لا داعى لها . وقال :

ـ « ما زلت .. أشعر .. بدوار .. السيارة .. »

فضحك مستر البرتى بصوت عال .

كان له شارب كث ولكنةُ إيطالية ثقيلة . وكان يحب أن يلقى بنكات تحرج بول أحيانًا لأن صوت أبيه كان عاليًا جدًا .

قال مستر ألبرتى بصوت عال :

ـ « كان عليك أن تتوقف عن الأكل بعد شطيرتين فى المطار .. »

كانت شهية بول المفتوحة من المواضيع المحببة للمزاح عنده .

وضحك بصوت عالٍ حتى بدأ العم (فريدى) يضحك بدوره دون أن يفهم ما هو سبب الضحك .

كان العم (فريدى) هو أخو مستر (البرتى) الأصغر وكان ما زال يعيش فى إيطاليا ، وكانت الكلمات الإنجليزية التى يعرفها هى : « رائع » و« وداعًا » فقط .

بعد توقف الضحك استدار مستر (ألبرتى) من المقعد الأمامى لينظر لبول وقال :

ـ « لا تقلق يا فتى . كدنا نصل .. »

كان المكان الذى يقصدونه يدعى (بينسولو) .. إنها القرية الجبلية حيث نشأ أبو بول وحيث ما زال العم يعيش ..

كان بول قد بلغ الثانية عشرة ، وقرر الأب أن ابنه كبر بما يكفى كى يستمتع بثلاثة أسابيع فى إيطاليا . لم تأت أم بول لأنها كانت راقصة باليه تقوم بجولة طيلة الصيف .

كان بول طويل القامة بالنسبة لسنه ، حتى اقترب بطوله من طول أبيه . كان بعض الناس يعتقدون أنه من الأفضل له لو فقد بضعة كيلوجرامات ، لكنه لم يهتم بهذا فقد كان يحب الأكل .

كان له شعر بنى غامق ويلبس عوينات تجعله يبدو على شيء من الخرق . لكنه لم يكن كذلك .

أهم شيئين فى بول كانا قدميه . كانتا كبيرتين . وبرغم طول قامته فإنهما لم تتناسبا مع جسده . لو أن بول تواجد على سفينة غارقة فإن أسرة من أربعة أشخاص يمكنها استعمال حذائه كقارب نجاة .

هذه هى النكات التى كان عليه أن يتحملها فى المدرسة يوميًا .

الآن جلس مكبلاً فى سيارة صغيرة ينظر لقدميه اللتين سببتا لـه كل هذه المشـاكل . يفعل هـذا مضـطرًا كى لا يفـرغ معدته علـى المقعد الأمامى من سيارة عمه .

لم يعتد بول أن يصاب بدوار السيارة ، لكنه أمضى 8 ساعات فى طائرة مزدحمة صاخبة طيلة الطريق مـن شيكاغو إلى ميلانـو ، وهى أكبـر مـدن شـمال إيطـاليا . الآن عليـه أن يركـب السيارة 3 ساعات من ميلانو إلى بينسولو .

كان اسـم العم (فريدى) الحقيقـى هـو (فردريكـو) ، وكـان أقصر من أبى (بول) وشبه أصلـع . فقـط كـانت خصـلات شـعر تلتصـق حـول رأسـه وكـان مـن طـراز النـاس الذيـن لا يؤمنـون بالمشط ..

كان عمًا عظيمًا لكنه لم يكن أعظم سائق فى العالم . كان يبدل السرعات كثيرًا لذا كانت العربة تتقافز .. كمـا كـان يقود بسرعة حتى فى الطرق الجبلية مما أتعب معدة (بول) .

دعك مـن أنه كـان يومَ صيفٍ حـارًا .. السيارات فى إيطاليـا تعمل بالديزل عامة وهذا له رائحة أصابت بول بالصـداع .

ليكن .. ربما ما كان يجب أن يأكل الشطيرة الثالثة فى المطار . كان يحب الأكل فعلاً .

لهذه الأسباب كان لونه أخضر فى هذه اللحظة .

كانت أمه تقول له :

ـ « لو شعرت بدوار سيارة ، فانظر أمامك عبر زجاج النـافذة الأمامية إلى أبعد ما يمتد له بصرك .. سوف تركـز ولن تشـعر بغثيان .

المشكلة هى أن الطرق هنـا متلوية جـدًا وسط جبال إيطاليا الجميلة المغطاة بالثلوج ، فلا يمكنك النظر للأمام أكثر من عشـرة أقدام .

لذا لجأ للخطة (ب) وهى التحديق فى حذائه .

ســأل :

ـ « كم بقى حتى نصل ؟ »

وبدأت معدته تتحسن لكن عنقه بدأ يؤلمه .

لم يرد أحد .. لذا نظر لحذائه ثانية .

ـ « هل تسمعاننى ؟ »

لم يرد أحد .

بدا أن السيارة تسرع أكثر فجازف ونظر لأعلى .

أول ما لاحظه هو أن عمه لا يبتسم .. الآن بدا .. خائفًا ...

ـ « ماذا هنالك ؟ »

كان مستر (ألبرتى) يتكلم مع أخيه بالإيطاليـة وبسرعة جدًا وصوت خفيض .

هذه علامة أخرى مقلقـة .. عندمـا يخفض أبوه صوتـه فهذا معناه متاعب .

اهتزت السيارة وأسرعت .

صاح (بول) :

ـ « تكلم الإنجليزية .. ما الخطأ ؟.. لماذا لا يبطئ ؟ »

راح العم يدوس على أكثر من دواسة ويغير السرعات مرارًا . لكن السيارة لم تبطئ .

سـأل بـول :

ـ « لماذا لا نبطئ ؟ »

ونظر من النافذة فرأى هاوية سحيقة على جانب الجبل مغطـاة بصخور وأشجار مدببة .

صرخ العم بالإيطالية فلم يفهمه بول لكنه لم يبد مطمئنًا .

نظر بول عبر الزجاج الأمامى ثانية ، فوجد أنهم يندفعون نحو حاجز خشبى يفصل الطريق عن الهاوية .

صـرخ :

ـ « لا ! ! ! »

لكنه تأخر .. لقد ضربت السيارة الحاجز بسرعة 90 ميلاً فى الساعة وطارت عبر الحافة !

الفصل الثانى

ـ « بول .. انهض .. »

بدا لبول كأن صوت أبيه يأتى من قاع بئر عميقة .

ببطء فتح عينيه ..

كان أول ما أدركه هو أنه رأى كابوسًا .. كان بخير . أبوه بخير .. السيارة بخير .

ما أدركه كذلك هو أنه نام فى وضع غير مريح على خلفية مقعد عمه . كانت إحدى ذراعيه مثنية خلف رأسه وركبتاه على صدره فعليًا .. شعر كأنه هو نفسه تقلص عملاق .

ثالث شىء لاحظه بول وأهم شىء هو أن السيارة توقفت أخيرًا .

لقد وصلوا .. إنه فى بينسولو .

هز مستر ألبرتى واحدة من قدمى بول العملاقتين :

ـ « هل أنت بخير يا صديق ؟ »

هز بول رأسه .

ـ « هلم .. الكل يريد أن يراك .. لقد وصلنا .. »

فرد بول ساقيه المتصلبتين وترجل . كانت السيارة قد توقفت فى شارع تحيط به بيوت رمادية عتيقة وكان العصر مشمسًا . راح بول يحملق وهو ما زال يشعر بدوار بسبب نومه .

قبل أن يمشى أفزعه صوت غريب . الكثير من الأصوات والكل يصرخ فى الوقت ذاته . الكل يصرخ بالشىء ذاته :

ـ « باولو ! »

بالإيطالية يصير بول هو باولو . وقد شعر باولو بحيرة لأنه نام كل هذا الوقت .. من هؤلاء الغرباء ؟.. لماذا يصرخون ؟

ثم أدرك أنهم يصيحون فيه .

احتضنوه على الفور وقبلوه على الخدين . هناك من اعتصر ذراعه ومن ضربه ضربة موجعة فى بطنه على سبيل المزاح .

الكل يتكلم فى الوقت ذاته وبصوت عال .. سمع كلمة (جراندى) عدة مرات فخمن أن معناها (كبير) . لابد أنهم يتكلمون عنه لا عن أبيه .

فى النهاية بدأ يميز الوجوه والأسماء .. كان لديه العديد من الأقارب فى إيطاليا وهو لم يلقهم قط .. رأى الصور لكن الناس يبدون مختلفين عندما تقابلهم ..

كان قد قابل من قبل جدته (بيانكا) معناها (البيضاء) بالإيطالية وكانت قصيرة مستديرة . وكان عليه أن ينحنى ليعانقها .

كانت قد زارت شيكاغو مرارًا وكانت تحتضنه أكثر مما تحتضن أى شخص آخر .

هناك (نات) وهى زوجة العم فريدى .. اسمها الأصلى هو (ناتاليا) وكانت خبيرة فى قرص الخد . كلما رأت بول مدت يدها لتقرصه .

باقى الجمع تضمن أولاد العم وأصدقاءهم . وبعض الناس الذين كانوا مارين .

كل واحد كان له اسم عظيم .. هناك (كارلو) و(سيرجيو) و(بينا) و(ماريا لويس جراتسيا) .

بعد ما أحمر خداه من كل القبلات والقرصات دخل الجمع بيت الجدة . كان البيت كبيرًا واسعًا وأقدم من أى بيت رآه بول فى شيكاغو .

اقتادته جدته (بيانكا) للمطبخ ، وبدا أن هناك دستة من الأوعية والصوانى كلها تقرقر فى الوقت ذاته .

سألته :

ـ « هل تحب ؟ »

كانت قد تعلمت أقل القليل من الإنجليزية عندما كانت فى شيكاغو .

لم يدر بول ماذا تطبخه لكنه كان طعامًا وهو يحب الطعام .. خاصة أن رائحته رائعة .

هز رأسه موافقًا فعانقته جدته وقبلته من جديد . وأعادته لغرفة الجلوس كى يستريح .

صاح مستر (البرتى) :

ـ « ارفع قدميك يا بول .. »

وكان الكثير من الناس هنا على المناضد والأرائك يتكلمون .

قال بول :

ـ « لست مرهقًا يا أبى .. نمت فى السيارة .. »

ونظر بول من النافذة فوجد أن الشمس ما زالت ساطعة . قال :

ـ « سوف يتأخر الأكل .. فهل بوسعى أن أقوم بجولة ؟ »

قطب مستر (ألبرتى) لكن بول خمن أنه ما زال فى مزاج طيب .

ـ « يمكنك ذلك إذا كنت ستأخذ الحذر .. وعليك أن تعود فى موعد العشاء ..

ـ « أعدك .. »

صاح مستر ألبرتى ليعلو صوته فوق دستة أصوات تتكلم فى الوقت ذاته :

ـ « لا تبتعد ! »

لكن بول كان قد خرج فعلاً .

الفصل الثالث

لم يكن بول يحب شيئًا قدرَ اكتشاف شىء جديد .

عندما كان رفاقه يحبون فيلمًا مثل (جزيرة الديناصور) أو (الإعصار الكبير) كانوا يرغبون فى أن يروه مرارًا .

كان بول يكره هذا .. عندما يرى شيئًا ويعرف كيف هو وكيف سيكون؛ كان يتأهب لشىء جديد على الفور .

أحيانًا كان فضوله يوقعه فى مشاكل .

مثلاً ذات مرة أكل طعام قطٍ جافًا ليرى كيف مذاقه . كانت الإجابة أن طعمه هو القذارة بعينها .

ذات مرة مشى بعينين مغمضتين ليرى كيف يشعر العميان ، وسقط من على الدرج . أخذته أمه لغرفة الطوارئ حيث خاط الجراح ركبته بسبع غرز .

لكن بول ظل فضوليًا وقد ازداد فضوله نحو بينسولو .

لاحظ أولاً أن كل شىء كان قديمًا فعلاً . كل شىء فى شيكاغو كان براقًا جديدًا وضخمًا .

هنا أكثر البنايات من الحجر وكلها ارتفاعها طابق أو طابقان . غالبًا لم تكن تُطلى وإنما تترك بلونها الرمادى الطبيعى .

مشى إلى بناية سكنية ولمس الجدار . كان باردًا رطبًا .. لابد أن هذا ملمس جدران السراديب فى العصور الوسطى .. شىء مخيف !

كل شىء قديم مثل تلك الأفلام القديمة بالأبيض والأسود لفرانكنشتاين . لاحظ كذلك أن كل مكان مهجور كما فى أفلام الأشباح .

مشى عشر دقائق ولم يرَ أى شخص .

كل المتاجر مغلقة ، وكلها مظلمة .

نظر لساعته .. الثانية بعد الظهر .. أين ذهب الجميع ؟

ثم تذكر ما كان أبوه قد قاله له . فى إيطاليا يأخذ كل شخص ثلاث ساعات لزوم الغداء . العمال يعودون لبيوتهم ويلتهمون وجبة دسمة ثم ينامون ويمضون بعض الوقت مع أسرهم .

لهذا الشوارع خالية .

هذا ممل !

نظر إلى الجبال المحيطة بالبلدة ، فقد كانت بينسولو قاع واد لذا كلما نظرت حولك رأيت جبالاً .

كانت الجبال عملاقة حتى شعر بول بأنه نملة .. بدت ناطحات سحاب شيكاغو جوارها كأنها كومة من قطع العملة .

قرر أن يتفقد هذه الجبال فيما بعد .

لكنه تذكر تحذير أبيه له . ماذا يمكن عمله فى هذه البلدة ؟.. صفر !

ربما كان من الممتع تفقد سفح جبل صغير .

ربما جبل كبير .. لكنه لن يجرب حظه ويتسلق للقمة فى أول يوم .

صوت التعقل كان يدوى فى مؤخرة رأسه .

- « سوف تراها مع أبيك فيما بعد .. فلماذا تجربها فى أول يوم ؟ »

تجاهل هذا الصوت .

بعد دقائق كان يمشى عبر طريق ترابى نحو أقرب جبل له ، وترك بينسولو من خلفه .

الفصل الرابع

بعد دقائق من الاستكشاف وصل بول إلى جسر عتيق متداع . هذا هو بالضبط ما يتوق له : المغامرة .. لن تجد جسرًا كهذا أبدًا فى شيكاغو . كان مفتش أمن سيقوم بهدمه وإزالته خلال دقائق ..

أخرج بول الكاميرا من جيبه والتقط صورة ليضمها لمجموعة صور الأماكن الغريبة . كان الجسر يتعلق بكابلين ويمتد عبر ما كان نهرًا . لا بأس به . على الأقل هذا ما تصوره بول .. الآن صار النهر مجرد جرف ملىء بالصخور .. وهناك مجرى ماء بسيط يجرى عبره كأن هناك من أزال السدادة .

ضرب على بطنه متوقعًا الحظ الحسن ، وبدأ ببطء يتقدم عبر الجسر .

تأرجح واهتز لكنه ظل متماسكًا .. مضى للأمام وبدأ يتخيل ما سوف يحدث لو أن هذا الشىء تهاوى . ربما يمسك بأحد الكابلين ويتأرجح إلى جانب طلبًا للسلامة .

ثم تذكر كم أنه من الصعب أن تمسك بحبل فى صف الجمنيزيوم . كما أن هناك وسادة أمان تكون تحته . ضغط على أسنانه وواصل التقدم .

سرعان ما صار على الجانب الآخر من الجسر ، وشعر بخيبة أمل . ليس لأنه تمنى أن يسقط لكنه كان يرغب فى مغامرة صغيرة .

أمامه وجد ممرًا ضيقًا يتلوى إلى سفح الجبال . بدأ يمشى فى هذا الاتجاه وسرعان ما وجد نفسه بين أشجار .. الجبال حول بنسولو كانت مغطاة بالغابات .. هناك الكثير من الصخور أكثرها أخضر مغطى بالطحالب .

ما كان الممر مرصوفًا بالخرسانة كما رأى فى بعض المتنزهات فى الولايات المتحدة ، لكن هذا الطريق كان ترابيًا والأشجار تقطعه وبعض أجزائه منحدرة جدًا ، حتى أنه وجد صعوبة كبرى فى التقدم .

فى النهاية بدأ الممر يستقيم وشعر بول بالراحة . لم يكن ذا لياقة عالية لأنه كان يحب الأكل كثيرًا . لم يكن قادرًا على التقاط نفسه الآن .

لاحظ أن عش الغراب ينمو على طول طريق الممر . بنية بعضه كبير كسلطانية الحساء . بول تذكر أن عمه فريدى كان يرسل بعض عش الغراب المجفف لشيكاغو . كانت أمه تعد منها عصيدة لذيذة . بدأت معدته تتقلص جوعًا .

ثم وجد خطة عبقرية .. لو التقط بعض عش الغراب وعاد به لجدته ، فلربما تطهوه للعشاء . فى أول يوم له فى بنسولو سيكون بطل المأدبة .

هناك مشكلة واحدة هى أنه لا يحمل شيئًا يضع فيه عش الغراب . جلس يفكر فى أنه يشعر بالحرارة فى الشمس الحارقة القادمة بين الأشجار . وجد الحل .. نزع قميصه وربط نهايتيه ليصنع ما يشبه الحقيبة . لا زال عليه تى شيرت أبيض .. ونزل على ركبتيه وبدأ يزحف بحثًا عن عش الغراب الأكبر والأكثر دسامة . استمتع جدًا بهذا .. رأى عش غراب عملاقا خلف شجرة واكتشف مجموعة أخرى على صخرة ، وبسرعة امتلأت الحقيبة بالخيرات .. لم يتوقف ولم يصدق أنه هنا فى غابات إيطاليا يجمع عش الغراب .

لابد أن زملاءه فى شيكاغو سيضحكون ويندهشون فهم لم يروا عش غراب بريًا مـن قبـل . لكـن المشـهد كـان جديـرًا بمشاهدته .

على بعد أقدام رأى أكبر وأنضر عش غراب رآه .. زحـف نحوه ككلب جائع .. لكن ما أن دنـا منـه حتـى شـعر كـأن الأرض تنشق من خلفه وأحس بأنفاس ساخنة تلفح عنقه .

استدار للخلف ..

وبدأ يصرخ !

الفصل الخامس

نظرت البقرة إلى بول وهى تمضغ العشب فى هدوء .

احمر وجهه ووثب على قدميه ، وكان قلبه يدق بسرعة .

كان آخر شـىء توقعـه عندمـا استدار ، هو وجـه بقرة قبيح يحملق فيه .

قال لها فى غضب وهو يهز إصبعه فى وجهها :

ـ « أنت أفزعتنى ! »

لكنه لم يقرب إصبعه منها كثيرًا لأنه لم ير بقرة حية مـن قبل ، ولم يكن واثقًا ما إذا كانت تحب عض الصبية أم لا .

عاودت البقرة مضغ العشب فراقبها وهى تأكل . وفكـر فـى أن البقر يبدو غبيًا .

كان مرتبكًا لأنه صرخ بهـذا الصوت العـالى ، لكن لـم يبـد أن هناك شخصًا قريبًا ,, ولم تكن البقرة تعبأ به .

ـ « من أين جئت ؟... هل أنت ضائعة ؟ »

ثم شعر بالغباء .. أنا وسط الأحراش وحدى أكلم بقرة .

لحسن الحظ لا أحد يراه من تلاميذ المدرسة الآن .

كانت البقرة بنية اللون لها عينان حزينتان كبيرتان ، وكان الذباب يطير حول عينيها وأنفها الرطب . لكنها لا تلاحظ .

بعد قليل مد يده فى حذر وربت على خاصرتها .. تجاهلته البقرة وكان فراؤها معجونًا خشنًا .

ـ « بم أناديك ؟ بيسى ؟.. انتظرى .. أنت إيطالية فليكن اسمك صوفيا .. »

رفعت رأسها ومشت فى الممر .

ـ « هيه .. إلى أين أنت ذاهبة ؟ »

قرر أن يتبعها .. الأبقار بطيئة لذا استطاع أن يلحق بها .

انحنى الممر واستطاع أن يرى حقولاً خضراء معشوشبة .. هناك بقرات أخريات يرعين ويبعدن الذباب بذيولهن .

لم يبد أن هناك شخصًا يرعى الأبقار .. التقط حزمة من العشب ومشى لأول بقرة . كانت سوداء ، وعندما رأته نظرت له وكفت عن المضغ .

مد كفه لها بالعشب ، فمن دون أن تشمه لتعرف ما إذا كان صالحًا أم لا بدأت تبتلعه .. ثم عادت تأكل عشب الأرض .

قال لها بول :

ـ « هذا فظ .. لماذا لا تظهرين بعض الرقى ؟ »

لقد غطى لعابها كفه .

اتجه لشجرة ساقطة على حافة الحقل ، وراح يفرك يده على العشب الجاف . لم يشعر بهذا الاشمئزاز من قبل فى حياته .

إذ جفف كفه شعر بشىء يلمس كتفه .

بقرة أخرى غبية .. هكذا حسب لكنه إذ نظر خلفه لم ير بقرة ..

رأى يدًا .. يدًا يغطيها فراء سميك ..

يدًا لا تنتمى لبشر !

الفصل السادس

راحت الأبقار تحملق فى بول ، وهو يركض عبر الحقل ثم عادت لالتهام وجبتها التى لا تنتهى أبدًا .

وجَدَ بول الممر فواصَل الركض . تعثرت قدماه بجذع شجرة ضخم وسقط على ركبتيه ، لكنه واصل الركض ..

حتى عندما بدا أن الجسر العتيق سوف يتهاوى ، فقد واصل الركض ..

حتى عندما راح الناس فى بينسولو يتوقفون وينظرون إلى الصبى شبه المجنون الذى نزع قميصه فإنه واصل الركض ..

لم يتوقف حتى بلغ بيت جدته ، وعندها كان نفسه قد انقطع بحيث لم يستطع شرح شىء ..

كان قميصه الداخلى ممزقًا متسخًا وقد جرحت ركبتاه ، وهناك أوراق شجر فى شعره .. لكنه بشكل ما لم يوقع حمولته من عش الغراب .

ناول عش الغراب لجدته .

ـ « لقد .. هه . جمعت .. هذا لك .. »

نظرت له جدته فى حيرة .

صاح مستر ألبرتى :

ـ « لا عليك .. ماذا حل بك يا فتى ؟.. هل آذاك أحد .. »

صاح من بين أنفاسه :

ـ « الجبال .. عش الغراب .. وحش .. »

ووقف مفتوح الفم وصدره يعلو ويهبط .

كرر مستر ألبرتى ما قال :

ـ « وحش ؟.. هلم اجلس .. »

كان باقى الأقارب قد راحوا ليبدلوا ثيابهم قبل العشاء . لذا لم يكن هناك سوى أبيه وجدته وقد سره أنه لا يوجد جمهور كبير يراه .

جلس فى المطبخ وبينما أعدت جدته بعض الشاى الساخن حكى قصة الممر والأبقار .

ترجم ألبرتى القصة للإيطالية للجدة وخمن بول أنه يضيف أشياء مثل (قلت له ألا يذهب !)

ـ « أقسم لك يا أبى أن اليد ما كانت بشرية .. كانت مغطاة بفراء أسود كثيف .. تمزق قميصى بسببها .. »

وانتظر كى يسمع مديحًا على شجاعته . لكن وجه أبيه احمر وانفجر يضحك وبطنه تهتز .

قال مستر ألبرتى شيئًا بالإيطالية لجدة بول فبدأت بدورها تضحك .

صاحت وهى تمسك بخصرها كى لا ينفجر :

ـ « لا باربا !.. »

سأل بول وقد بدأ يغتاظ :

ـ « أى (بربر) ؟.. عم تتكلمان ؟ »

قال مستر ألبرتى وهو يمسح دموعه :

ـ « لا باربا هو العجوز الذى يعنى بالأبقار .. اسمه (إيتالو) وأنا أذكره منذ كنت صبيًا .. فلابد أنه عجوز جدًا .. تلك أبقاره فلابد أنه أراد أن يعرف ما كنت تفعله هناك .. »

ـ « لكن الفراء .. رأيته بعينى .. »

ضحك مستر ألبرتى وربت على ظهر الصبى .

ـ « هذا هو المضحك بصدد إيتالو .. حتى وأنا صبى كان أكثر شخص مشعر رأيته فى حياتى . كان يخيف الصبية .. لهذا نسميه (لا باربا) ومعناها (اللحية) بالإيطالية .. »

أحمر وجه بول .. لقد خدعه عجوز يحتاج لحلاقة !.. على الأقل راقت القصة لأبى حتى إنه نسى أن يعاقبنى على التجوال طويلاً .

وقرر ألا يخبر أحدًا بأى شىء يحدث له بعد ذلك .

لا يريد أن يعتقد الناس أنه مجرد صبى أمريكى سخيف آخر .

الفصل السابع

– « وقال إن وحشًا أمسك به ! »

انفجر الجميع على مائدة العشاء بالضحك وألبرتى يحكى قصة مغامرة بول . كان يحكيها بالإيطالية لكن بول لم يحتج إلى ترجمة .

تجاهل هذه المضايقات لأنه كان يركز فى شىء أهم : الطعام !

كانت الجدة قد أعدت مأدبة بالمعنى الحرفى للكلمة . وقد اعتاد بول أن يطلب أبوه سباجيتى للعشاء وهذا كل شىء ..

فى إيطاليا يبدو أن السباجيتى صنف واحد من أصناف الطعام . بعدها يأتى اللحم والخضر والجبن والفاكهة .. وفى النهاية القهوة الإيطالية القوية ، ولم يشرب بول هذه لكن أخذ من كل شىء آخر .. وبكميات هائلة .

أيضًا سره أن قابل (أنطونى) ابن عمه (فريدى) .

كان أنطونى من سنه ويبدو أنه صلب المراس .

كان قصيرًا له عينان قويتان سوداوان . كان يعمل نقاشًا لذا كانت كفاه ملطختين بدهان أبيض . لم يجرب بول قط أية مهنة تلوث يديه .. عمل ذات مرة موزع جرائد لكن هذا كل شىء ..

الأجمل من مقابلة شخص فى سنك هو مقابلة من يتكلم الإنجليزية . لقد تعلم أنطونى الإنجليزية فى المدرسة وكان كلامه مفهومًا تمامًا برغم اللكنة .

كان أول ما قاله لبول :

– « إذن تحب شيكاغو ؟ »

– « أحبها لكن هذا المكان أفضل .. »

لم يكن يحاول المجاملة . كان يعنى ما قال ، لكن ابن عمه لم يحب ما قال :

– « بينسولو ؟.. تفضل بينسولو على شيكاغو ؟.. وماذا عن كل بنايات شيكاغو العملاقة ؟ »

هز كتفيه وقال :

– « لا بأس بها .. لكن عندكم كل هذه الجبال .. »

ـ « نعم .. الجبال ممتعة لكنها هنا دومًا .. بناياتكم صنعها البشر .. »

شعر بول أنه يحب ابن عمه فعلاً .. قبل ان يكملا النقاش جاء المزيد من طعام العشاء .

كانت الجدة تقول شيئًا بالإيطالية فاستدار الأب لابنه وقال :

ـ « نونًا (جدتك بالإيطالية) تسأل إن كنت تعرف أسطورة (أوركو) .. »

قال (أنطونى) :

ـ « لا تصدق هذه القصص .. إنها فقط لتخويف الفتيات الصغيرات .. »

ونطق (الفتيات) بلكنته كأنه يقول (الفاتا يات) ..

سأل (بول) :

ـ « ما هذا الأوركو ؟ »

ابتسم الأب وترجم كلام بول إلى الإيطالية . هنا انفجر الكل على المائدة يتكلم بصوت عال .

ـ « الأوركو قصة يحكونها هنا .. إنه نوع من .. ماذا تسمونه فى الإنجليزية ؟.. ترول Troll[*] .. ترول قبيح يعيش فى الجبال وله قوى سحرية تمكنه من أن يجدك أينما ذهبت .. »

حك ابن العم (سيرجيو) شعره المجعد وصاح فى بول بشىء ما ..

قال مستر (ألبرتى) :

ـ « يقول سيرجيو إن الترول مشعر جدًا .. »

بدأ العم فريدى يصرخ ويلوح بذراعيه حتى خطر لبول إنه يمر بنوبة صرعية .. لكن أنطونى قال :

ـ « أبى يقول إن الترول له سبعة أذرع وسبعة أقدام .. لكن أوصيك أن تنسى هذه الخزعبلات .. »

قال ألبرتى :

ـ « زوجة عمك لا توافق .. تقول إن الأوركو يبدو كرجل عادى .. لا توجد طريقة تعرف بها أنه أوركو إلا بالنظر إلى قدميه ..

(*) يصعب ترجمة المعنى ، لكنه أقرب إلى قزم أو عملاق شرير يعيش فى الغابات أو تحت الجسور ..

- « قدميه ؟ »

- « له قدما دجاجة ! »

فضحك بول ..

صاح أنطونى :

- « قلت لك إن هذا سخف .. »

قال مستر أنطونى :

- « أوركو يلتهم الناس .. آسف .. يأكل الأطفال فقط .. »

قال بول :

- « أووه ! »

فى سخرية متظاهرًا بأنه خائف .. فضحك أنطونى .

تولت الجدة السرد ورفعت خاتم زوجها الذهبى ليراه الجميع فقال الأب :

- « هذا أهم جزء .. لو لاقيت أوركو ذات مرة فلا توجد طريقة للخلاص منه إلا بأن تلقى له بخاتمك الذهبى .. الخاتم رمز للخير والحب لذا يفر أوركو .. »

رفع بول إبهامه لأعلى وهتف :

- « فهمت .. الآن أعرف ما أفعله لو وقعت فى مشكلة .. »

فضحك مستر ألبرت .

بدأ أنطونيو يشرح كيف أنه فى بينسولو يعامل الكبار الصغار على أنهم أغبياء . وقال :

- « أراهن أنهم فى شيكاغو يعاملون الصبية بقليل من الاحترام .. »

راح الجميع يتكلم ويصيح ويأكل .. وراح بول يفكر فى هذه القصص .

لم يصدقها لكنـه حـاول تخيل كيف يبـدو أوركـو .. مشـعر .. قبيح .. له جسد إنسان وقدما دجاجة .

سبعة أذرع !.. أربعة تمسك بأطرافك .. وذراع تطبق على فمك .. فلا تصرخ ..

وذراعان تكفيان لتطبقا على حلقك !

الفصل الثـــامـن

فى الصباح التـالى صحا بول وأبوه قبل الثامنة .. بسبب تغير التوقيت كانا يشعران كأنهما فى الثالثة عصرًا .

قال الأب :

ـ « هذا هـو (تخلف النفـاثـات) .. تحتـــاج إلـى يومين كـى تعتاده .. »

لـم يكـن الإفطـار الإيطـالى يشـبه العشـاء فـى شـىء .. مجــرد مقرمشات مع قدح كبير ملىء بالقهوة وهى فى معظمها لبن .

لم يكن بـول يشرب القهـوة فى شيكاغو ، لكن جدة بول كأيـة جـدة أخـرى كانـت تعرف بالضـبط مـا يريده .. لـذا زادت كميـة السكر فى القهوة كثيرًا جدًّا فصار مذاقها رائعًا .

بعد الإفطار مسح مستر ألبرتى فمه وقال :

ـ « علينا الاتصال بأمك .. »

لم يستطع بـول تقريبـا سماع أمـه علـى الهـاتف .. كـانت فـى فندق فى بتسبرج . سألته :

ـ « هل تستمتع بوقتك ؟ »

ـ « نعم .. لقد شربت قدح قهوة كبيرًا كالسلطانية من القهوة .. »

ضحكت الأم وقالت :

ـ « سمعت أنك قابلت الأوركو .. »

شعر بوجهه يحمر .. لقد كلم أبوه أمه من قبل وقال لها أشياء بالإيطالية . قال كاذبًا :

ـ « لم أخف .. عرفت أنه عجوز مشعر .. »

كانت الأم تعرف جيدًا لحظات كذبه ولم تفشل قط ..

ـ « أعرف أنهم سيتسلون عليك ، لكن لا تصدق كل ما يقولون .. هذه خرافات .. »

ـ « أعرف .. لست طفلاً .. »

ـ « هون عليك .. فقط اعتنِ بنفسك .. أوكى ؟ »

ـ « حسن .. »

ـ « وعدنى ألا تذهب للتجوال من دون أبيك .. »

غمغم بشىء لا معنى له فى الهاتف ، وإن أمَلَ أن يبدو مثل (أعدك) .. لكن الحيلة لم تخدعها هى التى كانت تعرف كل أساليبه :

ـ « بول .. عِدنى .. »

تنهد وقال :

ـ « حسنًا .. حسنًا .. أعدك ألا أجول وحدى أو أفعل أى شىء أحمق .. »

كان أبوه وجدته على الأريكة يتأملان ألبوم صور قديمًا .. فلم يلحظا أن (بول) إذ أعطى وعده أبقى إصبعين من يده متقاطعين[*] ..

(*) هذه إشارة غريبة معناها أنه يتمنى أن تتم الأمور كما يتوقع لها .

الفصل التاسع

بما أنهما كانا يعانيان تخلف النفاثات فقد قرر بول وأبوه أن يؤجلا مشاهدة معالم البلدة يومين ، فلسوف تكون الرحلة أفضل لو كانا مرتاحين .

قال مستر (ألبرتى) :

ـ « يجب أن نبدأ بزيارة الأقارب .. »

تنهد بول ، فقد بدا كأن كل واحد فى بينسولو يقرب لهما بشكل ما .

قال الأب :

ـ « هلم تعال يا زميل .. ألا تريد معرفة أشياء عن أجدادك وجذورك ؟.. هذا يشبه صف التاريخ .. »

أبقى بول فمه مغلقًا .. كان يمقت صف التاريخ . كان معلمه (لودهولز) قد جعله يحفظ اسم كل رئيس جمهورية فى تاريخ أمريكا وبالترتيب !

راح الأب يراقب علامات عدم الرضا على وجه ابنه ، وفى النهاية لم يعد يستطيع مقاومة الضحك .

قال وهو يحبس أنفاسه :

ـ « أو ربما كان عليك أن تجعل (أنطونى) يطوف بك فى البلدة .. »

تنهد بول بارتياح . لن يتحمل خداه يومًا آخر من القرص .

بعد عشرين دقيقة اندفع بول وأنطونى يهبطان الدرجات التى فى مدخل بيت الجدة . وترددت خلفهما صيحات « خذا الحذر » بالإيطالية والإنجليزية .

كانت الساعة العاشرة والنصف صباحًا والمدينة تختلف تمامًا عن أول مرة رآها بول .

كانت الشوارع تغص بالناس وكل المحلات مفتوحة . هناك سوق مفتوح ملئ بالناس حيث يباع كل شىء من الأرانب الحية حتى الطماطم والثياب .

قال أنطونى :

ـ « السوق يأتى كل أربعاء .. يزورون كل مدن الوادى .. »

رأى بول رجلاً يبيع الألعاب . مال على بضاعته والتقط انساناً آليًا جميلاً يحمل سبعة أسلحة ومنشار شريط فضائى .

صاح :

ـ « لطيف .. لم أرَ هذا من قبل ! »

تثاءب أنطونـى وقـال بصوت خفيض مع أن البـائع لا يعرف الإنجليزية :

ـ « لا بأس .. لكنهم يأتون هنا كل أسبوع .. لا يوجد شـىء مهم .. بالتأكيد هذه أشياء لا تقارن بالمولات فى شيكاغو .. »

هز بول كتفيه ووضع اللعبة . لم يكن معه مال يبتاعها به .

ـ « المولات مختلفة عامةً و... »

قاطعه أنطونى وهما يمشيان فى السوق ..

ـ « كلمنى عن أمريكـا .. لا أرغب فـى شـىء قدر أن أسـافر لبلدك .. »

ـ « حسنًا .. ليست سيئةً .. المدينة مزدحمة جدًا .. صاخبة .. هناك سيارات كثيرة .. لا جبال .. »

نظر أنطونى لبول ورفع حاجبيه وتدلى فكه .. وقال :

ـ « لا شىء يحدث فى بينسولو على الإطلاق ... لو وضعت دجاجة أحدهم بيضة لعرفت البلدة كلها .. تظل هذه أخبارًا مثيرة لمدة أسابيع .. »

هنا نادى صوت أنطونى .. صوت امرأة مسنة جدًا ..

استدار الولدان فرأى بـول نفسـه أمام أسن عجـوز قابلها فـى حياته . كانت منحنية على عصا صنعها أحدهم من غصن شجرة . والمقبض نحت على شكل وحش مزمجر .

كانت المرأة مخيفة المنظر وجهها مجعد كأنـه تفاحـة جافـة . كـان لهـا شـارب أبيض صغير وشـعيرات فـى ذقنهـا . وعيناهـا مجنونتان ..

صاح أنطونى :

ـ « تشياو ماريا .. »

تجاهلته المرأة وغمغت شيئًا بالإيطالية . ثم ببطء شديد أشارت إلى بول بإصبع عظمى .

أجابها الولد بالإيطالية .. لم يعرف بول ما يقولان .

فجأة ازداد وجه المرأة تجعدًا ، وصاحت :

ـ « باولو .. »

ثم وثبت نحو بول .. فقال أنطونى :

ـ « هى ابنة عم لنا من بعيد .. قل لها (تشياو) .. »

قال بول :

ـ « تشياو .. »

ولوح لها بتحية عرجاء .. لكن وجهها لم يتغير .

همس أنطونى :

ـ « يجب أن تتكلم بصوت أعلى .. إنها صماء تقريبًا .. »

صاح بول :

ـ « تشياو ! »

استدار البائعون فى دهشة لهذه الصيحة الأمريكية . حتى ماريا بدت مندهشة لكنها كلمت بول بالإيطالية .

هز رأسه وابتسم . وتساءل من ركن فمه :

ـ « ماذا قالته لى ؟ »

كان وجهها الآن قريبًا جدًا ، وانفرجت شفتاها كاشفتين عن سنين نخرين .

انكمش بول أثناء دنوها منه ، لكن أنطونى دفعه للأمام وهمس :

ـ « هلم .. تقول إنها تريد قبلة ! »

الفصل العاشر

همس بول :

ـ « يع ع ! »

ولمدة خمس دقائق لم يستطع أن يكف عن مسح خده . بل خديه . كان فى إيطاليا ، وهناك تكون القبلات هكذا .. على الخدين .

لمدة عشر دقائق لم يكف أنطونى عن الضحك :

ـ « كان عليك أن ترى النظرة على رأسك ! »

ـ « تقصد (على وجهى) .. »

احتج أنطونى :

ـ « هذا ما قلته .. »

لم يصر بول على رأيه .

مشى الصبيان وسط السوق لكنهما تعبا بسرعة ولم يكن معهما مال .

قال أنطونى :

ـ « لدى فكرة .. سأريك المقابر .. »

كذب بول قائلاً :

ـ « لابد أن هذا ممتع .. »

لم يكن يحب المقابر . لكنه لم يرد أن يعتقد ابن عمه الخشن أنه جبان .

كانت المقابر على حافة المدينة .. يحيط بها جدار صخرى عالٍ . لا يمكن رؤية ما بالداخل إلا بالدخول عبر بوابة من حديد صدئ .

أول ما لاحظه بول هو أن المقابر كبيرة فعلاً . وبدا كأن كل ميت كان له تمثال بالحجم الطبيعى أمام القبر . هناك ملائكة وقديسون يصلون . هناك قبور عليها صخور محفورة عملاقة . هناك صور مصفرة للمتوفى مثبتة على الشواهد تحت غطاء زجاجى .

قال بول :

ـ « يسهل أن يضل المرء طريقه هنا .. »

وارتجف صوته . وتمنى الا يكون أنطونى قد لاحظ .

سأله انطونى :

ـ « أنت لست خائفًا ؟ »

وضربه ممازحًا بين الضلوع .

ثم اندفع ضاحكًا خلف سرداب ..

وثب بول خلفه ، وفكر وهو يجرى أن هناك جسدًا ميتًا داخل هذا السرداب . ربما اسرة كاملة من الموتى .

أمسك بأنطونى فى نهاية صف من المقابر ، وحاول انطونى الفرار لكن ساقى بول كانتا أطول .

ما إن أمسك بابن عمه من حزامه حتى ركض الفتى نحو سرداب آخر .

ثم توقف وتوقف بول .

لقد كان يسد طريقهما كائن مشعر شديد القبح . أقبح كائن رآه بول فى حياته !

الفصل الحادى عشر

صاح أنطونى وهو يستجمع أنفاسه :

ـ « تشياو يا إيتالو ! »

ورمش بول بعينيه فى ضوء الشمس وتذكر أنه فى حضرة (لا باربا) الشهير .. لا باربا الشهير المشعر .

أدرك بول أن لا باربا مسن من التجاعيد فى وجهه .. لكن شعره ظل أسود كالشباب .

ويا لشعره !.. كان أسود طويلاً وله لحية تبلغ معدته . الشعر على رأسه كان خشنًا يتدلى على كتفيه ، وقد تغطت كل أطرافه بشعر كث كأنه فراء .. كان هذا غريبًا !

بدأ أنطونى يتكلم مع إيتالو .. مثل ماريا صوب لا باربا إصبعًا مشعرًا على بول وقال شيئًا بالإيطالية .

لا .. لو أراد أن يقبلنى فسأصرخ !

لكن لا باربا لم يأت بأية حركات .. وبرغم هذا بدا أنطونى حائرًا . وسأل إيتالو عن شىء ما .

نظر إيتالو إلى بول طويلاً وراحت عيناه تلمعان وسط الشعر الذى يحيط بعينيه ، ثم استدار لأنطونى وهز رأسه .

بعد ما ابتعد الصبيان استدار بول نحو أنطونى وكاد يلقى دعابة لكنه توقف على الفور .

كان أنطونى شاحبًا كقطعة ورق .

تلعثم أنطونى قائلاً :

ـ « تـ .. تعال .. لنبتعد من هنا .. »

وبدا خوف حقيقى فى صوته .

سأله بول :

ـ « ما الموضوع ؟.. »

لكن أنطونى لم يرد .

تركا المقبرة ومشيا بضع دقائق . ثم توقف أنطونى أمام متجر آيس كريم . هناك جلست أسرة تمزح وتأكل الآيس كريم ، وكانت ابنتهم الصغيرة قد لوثت وجهها كله بالشيكولاته .

استدار أنطونى لبول وجذب ذراعه .

ـ « سألت ايتالو إن كان يذكرك من يوم أمس .. »

ـ « وما فى ذلك ؟.. لـم يبـد مغتاظًا منـى .. لـم أؤذ أيًا من أبقـاره .. »

قال أنطونى وهو يقبض على ذراع بول بقوة :

ـ « هذه هى المشكلة . قال إنه لم يرك فى حياتـه .. لـم يكن هناك وتلك لم تكن يده ! »

الفصل الثانى عشر

سـأل مستر ألبرتى :

ـ « ماذا فعلتما أيها الشابان اليوم ؟ »

قـرر الصبيـان ألا يقـولا شيئًا عن لقـاء إيتـالو فـى المقـبرة . ولكى يتذكر بول ناوله ابن عمه ركلة قصيرة من تحت المنضدة .

صـاح (بـول) :

ـ « أوه ! »

سأل مستر ألبرتى :

ـ « مـاذا حـدث ؟ »

تلعثم بـول :

ـ « لا شىء .. لقد لويت إصبعى .. أنا بخير .. »

حك مستر ألبرتى شاربه فى فضول وقال (حسن) لكنه لم يبد مقتنعًا . نظر طويلاً لبول ثم أنطونى .

قبل أن يقول شيئًا جاءت الجدة حاملة سلطانية كبيرة من (النيووكى Gnocchi) وهى بطاطس إيطالية مخلوطة بصلصة السباجيتى .

جاهد بول كى لا يسيل لعابه كوحش ضار .. كانت لذيذة جدًا .

بعد ساعتين وخمسة أصناف طعام ، طلب بول وأنطونى أن يسمح لهما بمغادرة المائدة ..

كما هى العادة أكل بول أكثر بكثير من طاقته ، وشعر بأنه غير قادر على الكلام .. غير قادر على صعود الدرج .. لكنه مشى وراء أنطونى بشكل ما لطابقين ..

عند قمة الدرج كان هناك باب يفتح على سقيفة بيت الجدة . وكان هناك مقعدان جلس عليهما الصبيان .

كانت الشمس موشكة على الغروب ، وقد أضاءت الجبال من الخلف بلون أرجوانى . وبدت الجبال أكثر رهبة من المعتاد ..

هتف بول :

ـ « واو ! »

وأصلح من وضع مقعده .. يا له من مشهد ..

هز أنطونى كتفيه وقال :

ـ « أحب المكان هنا فقط لأنه ملىء بالنسيم .. لابد أن برج (سيرز) فى شيكاغو أروع بكثير .. »

ضرب بول جبينه . وقال :

ـ « بالتأكيد .. منظر عظيم لمدينة قذرة .. لا شىء كهذه الجبال .. لا أفهمك .. »

قاطعه أنطونى :

ـ « لن نتفق .. »

ثم خفض صوته وقال :

ـ « أعتقد أنك تعرف عما نريد الكلام .. »

هز بول رأسه وقال :

ـ « لم يكن من داع لركلى فما كنت سأتكلم .. »

ـ « كنت احتاط فقط .. »

- « لكن ليس بهذه القوة .. ماذا تحسبه أمسك بى هناك ؟.. هل تحسبه ؟ »

صاح أنطونى :

- « لا يوجد شىء اسمه أوركو ! »

بدا كأنه يحاول إقناع نفسه .

- « أسمع قصص أوركو هذه منذ صرت فى سن تسمح لى بالسماع .. هذا كل شىء .. لا أصدق أنك خدعت بهذا الكلام .. »

ثم صمت وراح يلتقط بعض الندب على ساعده . ثم قال بعد صمت :

- « أنت مجرد صبى صغير .. »

وثب بول من مقعده وكاد يصرخ :

- « أنا لست صبيًا .. أريد أن أعرف ما أمسك بى . فإذا كنت أنت شديد المراس لهذا الحد ... »

ثم صمت للحظة وتمنى ألا يندم على ما سيقوله .. لكنه قاله على كل حال :

- « دعنا نذهب هناك .. »

نظر له أنطونى لجزء من الثانية ، ثم قال :

- « ليكن .. ستكون مطاردة بطة برية على كل حال .. »

- « مطاردة إوزة .. »

- « هذا ما قلته .. »

وتبادل ابنا العم النظرات .. وفجأة ضحكا بعصبية . وقال أنطونى :

- « دعنا لا نتشاجر .. »

وافق بول وصافحه :

- « صديقان .. »

كانت الشمس قد غربت على الجبال الآن .. لم تعد الجبال رحبة كما كانت ..

ارتجف بول .. لم يكن يصدق بوجود أوركو لكنـه كان راغبًا بشدة فى العودة إلى هناك ليرى بنفسه .

كان ما قاله هو :

ـ « لا تقلق يا صاحبى .. ماذا يمكن أن يحدث لكلينا ؟ »

الفصل الثالث عشر

فى اليومين التاليين خرج (بول) وأبوه لمشاهدة البلدة .

ركبا التلفريك إلى قمة أعلى الجبال وشربا الشيكولاته الساخنة فى الملجأ على القمة ، واستعارا سيارة العم بول وقاداها إلى أقرب بحيرة . كان الجو أبرد من أن يسمح بالسياحة ، لكنهما بللا قدميهما وتناولا الغداء فى مطعم رائع على البحيرة .

فى نهاية الأسبوع قرر مستر ألبرتى أن يقوم بزياراته كلها مرة واحدة .

دعا كل من يعرفه .. أولاد عم .. أصهار .. أصدقاء .. إلى نزهة خلوية فى الحديقة . أشعل العم فريدى نارًا وطهى البولنتا التى قلبها بملعقة خشبية كبيرة .. وهى عصيدة ثخينة من دقيق القمح لذيذة الطعم ، تغطى بالجبن ..

بعد الغداء سمحوا لبول وأنطونى بالتجوال .

قـال بـول :

ـ « نعد أن نبقى على الطرقات .. »

سأله مستر ألبرتى :

ـ « و ...؟ »

ـ « نعد ألا نتأخر .. »

ـ « و ...؟ »

حك بول رأسه وقال :

ـ « حسنًا .. لا أعرف فى الحقيقة .. »

ـ « هل تعدان بألا تستمتعا بوقتكما ؟ »

انفجر بول وأبوه ضحكًا .. ثم قال الأب :

ـ « لا . أريد أن تستمتعا .. فقط كونا حذرين .. »

وانطـلق بـول وأنطـونى .. مشـيا عبـر ذات الطريق الـذى مشى فيـه بـول أول يـوم . عبـر المدينـة ثم الجسر ثم الطريق المتعـرج .

أشار أنطونى إلى جانب الطريق حيث كانت هناك صخرة ملونة باللون الأحمر ، وقال :

ـ « هنـاك صـخرة كهـذه كـل عشـرين قدمًا حتـى لا تضـل طريقـك .. »

مشيا نحو مرعى الأبقار فأشار أنطونى إلى طريق صاعد يقود إلى قلـب الغـابة . وهو بالتـأكيد ليس الطـريق الـذى مشى فيه (بـول) .

سـأله بـول :

ـ « لماذا تتخذ هذا الطريق ؟.. أيًا ما كان الشىء الذى أمسـك بى فقد كان هذا عند مرعى الأبقار .. »

ـ « أكيد .. لكن لن يكون هناك شىء اليوم .. »

قالها أنطونى وراح يشرح فى إرهاق :

ـ « اليوم الأحـد وأسرة إيتـالو تأتى له فى المرعى للنزهة .. كل أحفـاده وأولاد أحفـاده سيكونون هنـا يخيفون الأبقـار .. لـن نرى أى شىء فى وجود كل هؤلاء .. »

قال بول :

- « ليكن .. أنت الدليل المحلى .. »

وبما أنه دليل محلى ، فقد كان أنطونى أكثر اعتيادًا على المشى من بول ، خصوصًا فى الطرق الصاعدة . وكان أفضل فى تجنب غصون الأشجار ونسيج العناكب .

تعثر بول مرتين ، وخدش خده بغصن شجرة وامتلأ فمه بنسيج العنكبوت . كان يلهث من التسلق ، لكن آخر شىء فكر فيه هو أن يقول إنه غير قادر على الاستمرار .

راح ينظر إلى حذائيه ويركز . خطوة فى كل مرة ..

راح خياله يعمل بلا توقف ويساعده على تمضية الوقت .

كان الآن جنديًا .. لقد اعتقله الأعداء وهم يقتادونه الآن إلى معسكر الأسرى . يريدون تحطيم إرادته ، ولسوف يحرمونه الطعام لعدة أيام . فقط يسمحون له بأن يمتص الماء من قطعة اسفنج متسخة . لكنه لن ينهار .. ليس بول ألبرتى .. سوف يواصل المشى .. كأنه آلة لا تتعطل .

بعد دقائق كان عليه أن يتوقف .. انتهى مفعول خياله .

- « أنطونى .. توقف لحظة .. يجب أن ... »

لكن أنطونى لم يرد . شهق بول بعنف ورفع رأسه لأعلى ..

لم يكن هناك من يتكلم معه .. لقد اختفى أنطونى ..

الفصل الرابع عشر

صاح بول :

ـ « أنطونى ؟ »

وترددت كلمته عبر الغابة . لا علامة على وجود ابن عمه ..

قال لنفسه :

ـ « لا تخف .. أنت تقوم بنزهة فى الجبال .. لن يحدث شىء .. »

نظر حوله .. كان الظلام دامسًا والرؤية عسيرة . الأشجار كثيفة تمر الشمس عبرها والهواء رطب . لا توجد صخرة عليها علامة حمراء .

قال لنفسه :

ـ « لا يستبدن بك الفزع ! »

لكن الفزع استبد به فعلاً .

صرخ :

ـ « أنطونى !.. »

فتردد صوته عبر الغابة . دار وركض نحو الطريق الرئيسى . ثم شعر بحيرة .. هل هذا هو الطريق الصحيح ؟.. المنطقة جبلية وكل منظر يبدو كالآخر ..

أنطونى كان يهشم الأغصان ، لكن هناك أغصانًا مهشمة فى كل مكان .

هذا الطريق ليس صحيحًا ..

استدار وركض فى الطريق العكسى ، فتعثر بجذع شجرة وسقط فى التراب .

قبل أن ينهض أمسكت يَدٌ بكتفه ..

فأطلق صرخة رعب ..

الفصل الخامس عشر

وضع أنطونى يده على فم بول وقال هامسًا فى توحش :

ـ « اخرس يا أحمق ! »

صاح بول من بين الأصابع :

ـ « أنطونى ! »

فى البداية سره وجود ابن عمه ثم أصابه الغضب :

ـ « أين كنت ؟ »

ـ « فوق .. هنا ! »

واقتاد بول إلى قمة نتوء صخرى يتوارى بين أشجار وصخور .

ـ « انظر يا أنطونى .. »

وأشار إلى جانب النتوء الآخر .

نظر بول فرأى كوخًا قديمًا بين الأشجار . كان مصنوعًا من أحجار متباينة الحجم ، لم يستطع بول معرفة إن كان أحد يعيش هنا أم لا .

قال أنطونى :

ـ « لهذا لم أتكلم .. حاولت أن ألزم الصمت حتى أرى إن كان هناك أحد أم لا .. »

ـ « إذن أنت لم ترَ هذا المكان من قبل ! »

هز أنطونى رأسه وقال :

ـ « لم أسمع قَطُّ عن ناس يعيشون هنا .. من العسير جدًا أن تبلغ المدينة من هنا .. »

ثم صمت قليلاً وراح ينظر للكوخ . وقال :

ـ « أظن أن علينا أن ننزل ونرى .. »

شعر بول بتقلص فى معدته .. كانت البولنتا كالصخرة فى بطنه .

قال :

ـ « ليكن .. هيا بنا .. »

أمسك أنطونى بكتفه وقال :

ـ « انتظـر .. »

وبدا مرتبكًا وناول بول شيئًا صغيرًا لامعًا .. رفعه بول فى الضوء فاكتشف أنه خاتم جدته الذهبى !

صاح بول :

ـ « أنت أخذت خاتم (نونّا) ؟ »

بدا الخجل على وجه أنطونى .

ـ « أعرف أن قصص أوركو غبية ، لكن للاحتياط .. كيف تقولونها فى الإنجليزية .. اقترضت الخاتم صباح اليوم .. تنزعه هى كل ليلة قبل النوم .. »

همس بول فى خشونة :

ـ « اقترضته ؟.. بل سرقته !.. ماذا لو فقدناه ؟ »

ـ « لهذا أعطيه لك .. عندك جيوب تغلق فى قميصك .. لهذا لن يضيع .. »

ـ « ليكـن .. سـأحمله لكـن علينـا أن نعيـده بأسـرع ما يمكن .. »

قال أنطونى فى غيظ :

ـ « وماذا تتوقع ؟... هل تحسبنى سأبيع خاتم (نونّا) ؟ »

وتبادل الولدان النظرات ثم من دون كلمات هبطا من فوق النتوء ، واتجها نحو ذلك البيت الغامض فى الغابة .

الفصل السادس عشر

قال أنطونى منذرًا ابن عمه :

ـ « تأكد من أنك تمشى فى هدوء .. »

حاول بول لكنه لم يستطع ألا يلاحظ الصوت الذى يحدثه كلما قام بأبسط صوت ممكن .. فى هذا الصمت كان تهشم أصغر فرع شجرة يبدو للأذن كأنه عملاق يطرقع أصابعه . كل ورقة تتهشم كأنها استاد ملىء بأناس يأكلون رقائق البطاطس فى وقت واحد .

فى النهاية بلغوا الكوخ .. كل شىء هادئ .. الكوخ أكبر مما بدا لهم من أعلى . لكن النافذة الوحيدة كانت أعلى من مستوى إبصارهما معًا .

قبعا جوار الجدار ، تحت النافذة . وقال أنطونى :

ـ « على أحدنا أن يرفع الآخر .. »

قال بول وهو يضرب على بطنه :

ـ « أنا الأثقل .. »

ـ « نعم .. لكننى أقوى .. »

ثم ثنى ذراعه ليظهر عضلاته .. ووضع كفيه فى وضع الدرجة التى يمكن أن يتسلقها صاحبه .

قال بول :

ـ « ليكن .. سألقى نظرة .. »

صعد على الدرجة وشعر بنفسه يرتفع نحو النافذة .

همس أنطونى :

ـ « أماه !.. إن قدميك كبيرتان .. »

لم يصدق بول أذنيه .. ها هما ذان يخاطران بحياتهما فى مكان مجهول ، وما زال يسمع نفس التعليقات عن رجله الكبيرة .

ـ « هل وصلت ؟ »

همس بول :

ـ « نعم .. »

بيطء رفع نفسه وتمسك بإطار النافذة حتى استطاع أن يحدق فى الظلمة .. من الصعب تبين أى شىء ..

حملق أكثر فأكثر ..

وفجأة تخلى عن الحافة وصرخ ..

الفصل السابع عشر

سقط الولدان فى التراب .

صاح بول :

ـ « عينان !.. رأيت زوجًا من العيون تحملق فى الظلام ! »

هنا جاء صوت من النافذة ..

ـ « مياوووو ! »

نظر الولدان إلى النافذة .. كانت قطة سوداء تجلس هناك وتلعق نفسها .

شعر بول بوجهه يحمر .. ونظر لأنطونى الذى كان وجهه أكثر أحمرارًا .. كان الغبار يغطى قميصه . وكان هناك جرح صغير على خده . كان غاضبًا جدًّا .

صاح أنطونى :

ـ « أنت .. أنت ! »

أدرك بول أن ابن عمه يوشك على الجنون حتى نسى أن يتكلم الإنجليزية .

ـ « أنا آسف .. رأيت هاتين العينين فخطر لى أن ... »

ـ « أنت أصغر صبى رأيته فى حياتى .. صرخت كأنك رأيت دبًا .. طلبت منك أن تكون هادئًا والآن كل فأر فى هذه الغابة يعرف أننا هنا .. وانظر إلى ما أصابنى .. »

لكن الدور جاء على بول ليجن :

ـ « لا تنادنى بصبى !.. أنا من تسلق هناك وليس أنت .. لو كنت قويًا بما يكفى لحملى لما سقطنا فى التراب .. »

ـ « هل تلمح إلى أننى كنت أخاف النظر من النافذة بنفسى ؟ »

ـ « هذا ما أقول .. »

هب أنطونى واقفًا وراح ينفض الغبار عن قميصه :

ـ « حسنًا .. أعتقد أن على أن أقودك للداخل .. »

ـ « جميل .. »

ونهض بول ومشى وراء أنطونى .

وقال أنطونى :

ـ « أنت أحدثت جلبة هائلة .. لو كان هناك من بالداخل فلابد أنه خرج الآن .. »

لم يبد شديد المراس وهو يقف أمام باب الكوخ ، ولم يشعر بول بأنه قوى كذلك .

ـ « لابد أن الكوخ خال .. »

هزّ بول رأسه وأمسك بالمقبض . ودفع لكن الباب لم يتزحزح .

همس أنطونى :

ـ « لا يوجد قفل .. هو ملتصق فقط .. »

لسبب ما بدا أن هذا هو الوقت المناسب للعودة للهمس .

ـ « ربما يجب أن نرحل .. »

نظر له أنطونى وسأل :

ـ « هل تحسبنى خائفًا ؟ »

ـ « لا .. فقط ... »

قبل أن يكمل كلامه ، استدار أنطونى وضرب الباب بقوة بكتفه .

انفتح الباب عنوة وطار أنطونى إلى الداخل يتقدمه رأسه ..

الفصل الثامن عشر

صاح بول :

ـ « أنطونى !! »

ودون أن يفكر اندفع نحو ابن عمه .

رقد أنطونى على الأرض فى مركز الغرفة ، ومن خلفه كان الكوخ خاليًا .

لم يبد الكوخ القديم مفزعًا من الداخل كما كان خارجه .

هناك فراش عتيق فى ركن الغرفة ، ومنضدة خشبية عارية فى منتصفها ، بعض أجزاء الغليون كانت ملقاة على الأرض ، وهناك غبار ونسيج عناكب فى أرجاء الغرفة .

سأل بول ابن عمه :

ـ « هل أنت بخير ؟ »

وقف أنطونى غاضبًا ونفض ثيابه ثانية .

ـ « أنا بخير .. »

لكنه بدا مرتبكًا بسبب سقطته ، وقال :

ـ « هذا المكان غبى .. »

ســأل :

ـ « هل تظن أحدهم كان يعيش هنا ؟ »

ـ « لا أعرف .. كل شىء عتيق مغبر .. »

وعطس بول .. عطس فى وجه أنطونى .

ـ « آسف .. أنا عندى حساسية من التراب .. »

مسح أنطونى فمه بلا تعليق ثم ركع على ركبتيه ، ونظر تحت الفراش . وقال :

ـ « لا شىء هنا .. »

على الرف الذى على الجدار كانت هناك زجاجة خمر ، وكـأس وشـمعة ذائبـة ومدية قـذرة . تنـاول المدية ولمسـها فوجدها حـادة .

هنا شق الهواء صوت حاد مخيف .

وثب الولدان ثلاثـة أقدام فى الهواء وأخذ بـول نفسًا عميقًا ونظر إلى الباب .

كانت الضوضاء من القط .. لم يسمع بول فى حياته قطة تفح هكذا . كل فرائها الأسود منتصب وقد وقفت جوار البـاب وبدت مذعورة .

ثم قوست ظهرها وأصدرت فحيحًا .

ـ « هل تظن أنها تحاول قول شىء ؟ »

قال أنطونى :

ـ « نعم .. تخبرنا أن شيئًا ما قادم هنا ! »

الفصل التاسع عشر

واصل القط العواء بصوت مخيف جعل الشعر ينتصب على عنق بول .

جرى بول وأنطونى للباب ونظرا للخارج . لم يكن هناك أحد .. كل شىء كما هو ..

لكنه مختلف كذلك .. أشعة الشمس التى كانت تنساب بين قمم الأشجار قد اختفت .. هناك غيوم سحب والهواء بارد رطب .

ارتجف بول . وقال أنطونى :

ـ « هناك شىء غريب حدث .. »

قال بول :

ـ « أعلم .. ربما كان علينا أن نرحل split هذه المرة(*) .. »

ـ « نقسم ؟... أى شىء ؟ »

(*) فى العامية الأمريكية split معناها (نرحل) لكن معناها الحرفى هو (نقسم الشىء) .

قبل أن يعطيه بول درسًا آخر فى العامية الأمريكية ، دوى الهدير الأول .

كان بول قد قرأ عن الزلازل فى كاليفورنيا وكيف تهتز الأرض ، وكانت الأرض تهتز تحت أقدامهما . لا يكفى هذا طبعًا لجعل الأشجار تسقط .

شىء ما يحدث حقًا .. مع كل رجفة كانا يسمعان صوتًا يدوى عن بعد . بدا كأنه صوت خطوات .. خطوات شىء عملاق .

صوت الأغصان تتهشم ..

وجاءت الضوضاء من أعلى النتوء . الأشجار هناك تهتز .

أيًا ما كان هذا فهو قريب ..

ثم سمعا العواء .. كأنه عواء ذئب أو زئير دب ..

لكنه بالتأكيد ليس صوتًا بشريًا ..

الفصل العشــرون

عاد الصبيان للكوخ وأغلقا الباب .

ركضت القطة فى الغرفة وهى تفح بوحشية . فصاح بول :

ـ « اخرسى ! »

واستدار لأنطونى .. وقف كلاهما وظهراهما للباب . وقال بول :

ـ « هل تعتقد أنه

قال أنطونى لاهثا والأرض تهتز :

ـ « لا أعرف .. يجب أن نسد هذا الباب

ركض الصبيان نحو المنضدة الخشبية وجذباها نحو الباب ، وكان صوت الخطوات المخيف يتعالى .. والأرض تهتز أكثر .

ـ « دعنا ندفعها تحت المقبض .. »

وبقوة حشرا المنضدة ..

صارت الخطوات كصوت الرعد .. واهتزت زجاجة الخمر على الرف مع كل خطوة . هذا الشىء يقترب .

صاح بول وهو عاجز عن منع صوته من الارتجاف :

ـ « هذا لن يبعده طويلاً .. »

قال أنطونى :

ـ « أنت محق لكن ما من طريق آخر للخروج سوى النافذة .. »

النافذة .. صغيرة جدًا .. عالية جدًا ..

لكنها أملنا الوحيد ..

التقط بول مقعدًا باليًا من ركن الغرفة ووضعه تحت النافذة .

قال أنطونى :

ـ « أنت أولاً .. »

ـ « لا .. أنت أولاً ولسوف أمسك بالمقعد ثابتًا .. »

هزّ أنطونى رأسه .

كانت الخطوات تتعالى . فصاح بول :

ـ « أنت أقوى .. سيكون فتح النافذة أسهل عليك .. »

فكر أنطونى للحظة ثم هزَّ رأسه موافقا .

ـ « بسرعة .. »

تسلق أنطونى إلى المقعد ، ثم حاول فتح النافذة .. لم تتحرك .

صاح :

ـ « موصدة ! »

كان المقعد يهتز مع كل خطوة . وحاول بول أن يبقيه ثابتًا .

ـ « اكسره ! »

أغمض أنطونى عينيه وضرب الزجاج .. كان الدم يتساقط من يده ، فأزال باقى الزجاج ووثب من النافذة ..

كان صوت الخطوات يتعالى كأن الخطوة القادمة ستسوى الكوخ بالأرض ..

رأى بول قدم أنطونى تختفى عبر النافذة .. وسمعه يسقط بالخارج .

وثب بول على المقعد .. هنا شعر بالمقعد يتهشم ..

سقط على الأرض وسقطت عويناته .. تحطم المقعد إلى أجزاء .. لم يعد من الممكن الوصول إلى النافذة الآن ..

بدأ الباب يهتز ..

أيًا ما كان الشىء القادم ، فهو هنا الآن ..

الفصل الحادى والعشرون

تكور فى الركن وهو يسمع دفعة قوية على الباب . تهاوت المنضدة وانفتح الباب . وطار الخشب فى أرجاء الحجرة .

غطى بول عينيه .

عندما فتحهما رأى شكلاً يغطى الباب .. لم يستطع تبينه من دون عوينات .. لكنه كان قاتمًا ضخمًا . له ذراعان وقدمان ..

لم يقدر بول على الرؤية بوضوح لكنه كان يشم .. يشم رائحة كلب مبلل .. رائحة حديقة الحيوان فى يوم حار ..

مثل الحيوان ..

شعر بالرعب يزحف على ظهره ، ولم يعد يشك فى أنه يقف الآن أمام أوركو .

زأر الأوركو حتى شعر بول بأن أذنيه ستثقبان .. وشعر بأنه يشم رائحة انفاس المخلوق الحارة .

قال لنفسه : لقد متُّ .. لا مفرَ ..

كان أكثر رعبًا من أن ينهض أو يحاول الفرار أو حتى يصرخ .

ما قيمة هذا ؟.. هم على الجبل .. فى وسط مكان مقفر .. لن يطير بطل خارق لينقذه كما الأفلام .

بدأ الشىء يتحرك .. دخل الكوخ واتجه ببطء نحو بول .

رأى بول أن المخلوق يربط شيئًا حول خصره . حزامًا أو حبلاً .. هناك حقيبة تتدلى من الحزام .

هل تحوى الحقيبة كنوزًا ؟.. هل هى جماجم ضحاياه ؟.. ربما الاثنان معًا ..

التصق بالجدار أكثر ..

لم يبد أن له قدمى دجاجة .. هما قدما إنسان لكنها مشعرتان ..

الأوركو يتقدم ..

هنا تذكر بول خاتم جدته !

تعالى الزئير من جديد ..

بحث فى جيبه عن الخاتم ، بينما الأوركو يتقدم .. خيل للفتى أنه يرى شيئًا يسيل من فم الشىء ..

هل يسيل لعابه ؟

ابتلع ريقه .. ألقى بالخاتم بعيدًا ..

طار الخاتم فى الهواء كقذيفة وضرب الشىء فى وسط صدره المشعر ..

ثم سقط أرضًا ..

زأر الأوركو وعوى ..

قال بول لنفسه : لا .. لقد جعلته أكثر جنونًا !

الفصل الثانى والعشرون

الآن عرف بول أنه ميت .

تقدم الأوركو أكثر .. هنا سمع بول من الباب صوتًا يقول :

- « إى ى ى ى ! »

سمعه الأوركو فتوقف واستدار ..

نظر بول للباب فرأى شكلاً أصغر .. أنطونى !.. يبدو أن ابن عمه كان يحمل شيئًا صغيرًا فى يده .. شيئًا يلمع ..

استدار الأوركو فقذف أنطونى الشىء لوسط الكوخ ..

رأى بول أنها كرة صغيرة .. ماذا يفعله أنطونى ؟

فجأة خرج شرر من الكرة فتراجع الأوركو .. خرج دخان أخضر منها فزأر الأوركو وتراجع أكثر .

كانت قنبلة دخان !

لقد ابتاع بول مثلها يوم عيد الرابع من يوليو من قبل ، ولم يعرف أنها تباع فى إيطاليا .

يبدو أن الأوركو خائف .. لقد تراجع للخلف ولوح ليبعد الدخان .

هذه فرصتى ..

وثب على قدميه واندفع وسط الدخان نحو الباب . الحرية !.. كان يجرى لكنه لم ينس أن يلتقط عويناته من على الأرض ..

زأر الأوركو وسط الدخان ..

صاح :

ـ « هلم نهرب من هنا ! »

سمعا الأوركو يضرب جدران الكوخ لكنهما لم ينظرا للخلف .. جريا صاعدين النتوء ثم إلى الطريق .. ثم ركضا نحو بينسولو .

الفصل الثالث والعشرون

قال بول :

ـ « كان ضخمًا .. »

وقال أنطونى :

ـ « كان قبيحًا .. »

راقب مستر البرتى الولدين وقطب وعقد ذراعيه . وقال :

ـ « حسنًا .. عليكما أيها الشابان أن تهدءا .. لم تقولا أى كلام معقول حتى اللحظة .. بول .. خذ نفسًا عميقًا واحك القصة ثانية .. »

عاد بول يحكى القصة من البداية . حكى لأبيه كل شىء حتى لحظة قذف الخاتم و ...

ـ « توقف هنا .. أين خاتم جدتك الآن ؟ »

نظر الصبيان لبعضهما وابتلعا ريقهما .

قال بول فى خجل :

- « حسنًا .. كما قلت يا أبى أنا رميته على أوركو .. لكنه لم يؤثر فيه .. »

- « إذن أين الخاتم ؟ »

وانخفض صوته وضغط على أسنانه .. علامتان سيئتان .

قال بول متلعثمًا :

- « لقد ضربته فى صدره ثم سقط أرضًا .. لم تكن عويناتى معى فلم أعرف أين ذهب .. أعتقد أنه ما زال فى الكوخ .. لم نجد فرصة للبحث عنه . لقد ألقى أنطونى بعدها بقنبلة الدخان .. »

صاح مستر ألبرتى :

- « كفى كلامًا عن الأوركو .. لا أريد سماع حرف عنه .. لا يوجد أوركو وأنتما تعرفان هذا .. »

- « لكن يا عمى .. »

- « قلت لكما لا تعودا للجبال .. أردتما لعب ألعاب سخيفة .. وأضعتما خاتم زفاف جدتكما .. ثم اخترعتما قصة الأوركو لجعل القصة تبدو معقولة .. هل تعرفان شعور جدتكما عندما تدرك أن خاتمها قد ضاع ؟ »

نظر الصبيان لحذائيهما .

لم ير بول أباه غاضبًا لهذا الحد من قبل . حتى عندما حاول استعمال آلة حلاقته الكهربية وأسقطها فى المرحاض ..

نظر مستر ألبرتى للولدين بعض الوقت ثم قال :

- « حسنًا .. لنذهب .. »

ماذا ؟.. هل سيعودان لشيكاغو ؟.. هل أبوه غاضب لهذا الحد ؟

سأل أباه :

- « إلى أين ؟ »

قال الأب فى حزم :

- « سنجد خاتم زواج جدتكما . سوف تأخذاننى إلى الجبال .. »

الفصل الرابع والعشرون

لم يجد التوسل ولا الإلحاح .. لقد كان الرجل واثقًا من أنهما لم يلقيا الأوركو .

لذا بعد أن تم تضميد يد أنطونى انطلقوا نحو آخر موضع فى العالم يرغب بول فى رؤيته ثانية : الجبال ..

مشوا فى صمت .. كان مستر ألبرتى أكثر غضبًا من أن يتكلم . وبول وأنطونى كانا أكثر خوفًا من أن يتكلما .

مشوا عبر ذلك الطريق المؤدى إلى الغابة الجبلية وفى النهاية بلغوا الفسحة والكوخ القديم .

قال الأب :

ـ « على الأقل كنتما صادقين بصدد شىء ما .. »

لم يكن بول يصغى له .. كان يفتش بعينيه عن الأوركو .

ما هذا الشىء خلف الأشجار ؟

مجرد طائر ..

هذه اليد التى توشك على أن تمسك أنطونى ..

لا .. هى مجرد أغصان فى الريح ..

قال مستر ألبرتى :

ـ « هلم أنتما الاثنان .. سوف نبحث عن شىء .. »

وبدأ يمشى نحو الكوخ .. تبادل الصبيان النظرات ثم مشيا خلفه .

اتجه للباب .. لا يمكن أن يكون الأوركو ما زال هناك .. دعك من أنه لا يهاجم إلا الصبية ..

اندفع الصبيان نحو الكوخ ونظرا للداخل . هناك على حافة الفراش جلس رجل يداعب القطة السوداء .

بدا أنه فى سن مستر ألبرتى .. كان له شعر مبعثر ولحية وكان يلبس حذاء ممزقًا يبرز إصبعه منه .

استدار مستر ألبرتى لبول وأنطونى وبدا أكثر غضبًا . وسأل :

ـ « هل دمرتما بيت هذا الرجل ؟.. »

كان صوته أقرب للهمس .. وهى علامة سيئة جدًا .

نظر بول إلى المقعد المحطم وكانت قطع من الخشب مبعثرة .. كل المكان رائحته دخان ..

ابتلع بول ريقـه . وقال :

ـ « أقسم لك يا أبى .. كان هذا هو الأوركو ... »

قاطعه مستر ألبرتى ..

ـ « ماذا قلت لكما عن الكذب ؟.. لا أريد سماع شىء .. »

لكن الرجـل على الفراش سمع لفظـة أوركو .. قال شيئًا ما بالإيطالية .

سأل بول أنطونى :

ـ « ماذا قال ؟ »

ـ « قال لأبيك إنه لم يـر الأوركو من قبل .. لكنه يؤمـن بـه .. قال إنه إذ دخل الكوخ شعر بشىء غريب .. شىء شرير .. »

واصل الرجل الكلام وواصل أنطونى الترجمة :

ـ « يقول إن اسمه (جيانى) .. يعيش هنا وحده مع القـط .. يقول إنه جاء هنا لأن بينسولو صـارت مزدحمـة جدًا .. يصطـاد ويجمـع الفاكهـة وعش الغـراب .. يمقـت التكنولوجيـا الحديثـة ولسوف يكتب كتابًا عن مقته للحضارة الحديثة ، لكنه ما زال فى رأسه حتى هذه اللحظة .. »

ـ « وماذا عن الأوركو ؟ »

ـ « أنا أترجم ولا أسيطر على ما يقول .. انتظر .. يقول إنـه كان يحسبها أسطورة لكنه يؤمن بها اليـوم .. يعتقد أن الأوركو كان إنسانًا لكنـه أصيب بلعنـة مخيفـة .. الآن يعيش فـى الجبـال للأبد ، ويعيش على دم الأبرياء .. »

وابتلع ريقه وواصل :

ـ « يقول إنه يجد عظامًا أحيانًا .. فى الغابة .. يعرف أن هذه ليست آثار صياد . يقـول إن أطفـالاً يختفـون كل عـام ويحسبهم الناس خطفوا .. »

صمت أنطونى وارتجف ...

- « يعتقد أن الأوركو هو السبب ويعتقد أن الأوركو عاش طيلة الوقت على الجبل .. لابد أنه صار جزءًا من الجبل .. »

صمت أنطونى وابتلع ريقه ثم قال :

- « يقول إنه لو أراد أوركو الظفر بك فلسوف يبحث عنك ويجدك .. حتمًا سوف يجدك .. »

الفصل الخامس والعشرون

بعد الانصراف قال مستر ألبرتى :

- « هكذا .. الوحيد الذى يؤمن بوجود أوركو هو نفسه مجنون nuts(*) .. »

تساءل أنطونى فى حيرة :

- « بندق ؟.. هل يمكن أن يكون البشر بندقًا ؟ »

لم يجهد أحدهما نفسه بالتفسير . كان الأب متضايقًا جدًا .. لقد فتشوا الكوخ لمدة ساعة ولم يجدوا الخاتم . أقسم (جيانى) أنه لم يأخذه .. كان الأب يصدقه فمن الواضح أن جيانى لا يبالى كثيرًا بالمال ..

حين عادوا لبينسولو كان على الأب أن يخبر الجدة بضياع الخاتم .. الغريب أنها لم تبد مهتمة جدًا .. وإن لاحظ بول دمعة تنساب من عينها .

(*) nuts بالعامية الأمريكية معناها (مجنون) لكن معناها الحرفى هو (بندق) .

كان العم فريدى وزوجته أكثر فصاحة فى التعبير وصرخا كثيرًا جدًا . قررا ومعهما أبو بول أن يحذفوا جزءًا من مصاريف الولدين كل أسبوع حتى يسددا ثمن الخاتم . كما يسددان ثمن الأثاث التالف لدى جيانى .

الأسوأ أنهما قررا أن ينفصل الصبيان عن بعضهما بقية العطلة !

قال مستر ألبرتى :

ـ « أنتما تتورطان فى متاعب لا حصر لها عندما تكونان معًا .. من حظك يا بول أننى لم أضعك على طائرة وأعدك إلى شيكاغو .. »

قال بول :

ـ « لكننا سندفع ثمن الخاتم والأثاث .. ألا يكفى هذا ؟ »

ـ « نعم .. »

قالها مستر (ألبرتى) فى عناد :

ـ « هذا الخاتم له قيمة عاطفية كبرى لجدتكما .. لا يمكن تعويض شىء كهذا أبدًا .. »

عاد بول لغرفته شاعرًا بالحطة .. إن أباه على حق ..

الأيام التالية كانت شنيعة .. بول يأكل ويتنزه وحده ... لم تقل جدته أية كلمة له لكنها لم تعد مرحة ضاحكة كما كانت .

عرفت البلدة كلها كيف ضاع الخاتم لأن أنتونى وابن عمه الأمريكى لعبا ألعابًا سخيفة فى الجبال . فى كل مكان يقصده بول كان يشعر بالناس تنظر له ويتكلمون عن الصبية الأمريكيين المتعفنين .

فى النهاية صار يمضى كل اليوم فى غرفته يقرأ .

الطعام كان جماعيًّا كالعادة ما عدا أن أنطونى لم يعد معهم .. بعد الطعام يحمل له أبوه وجبته ليأكلها وحده .

ذات ليلة أتم بول وجبته ثم عاد لغرفته . كان قد جلب معه قصة جاسوسية سميكة وحسب أنها ستكفيه طيلة العطلة لأنه سيكون مشغولاً بما هو أهم . الآن اكتشف أنها على وشك الانتهاء .

فتح الصفحات حيث وقف أمس .. (ماتلى مانفورد) المخبر البريطانى يحاول نزع فتيل قنبلة بيد ، ويبارز الشرير د. (كراو) بالسيف بيده الأخرى .

هنا وجد بول مذكرة صغير ة تركها احدهم له .

عرف على الفور أنها من أنطونى . عرف هذا من أخطاء الهجاء .. من الواضح أن أنطونى يتكلم الإنجليزية خيرًا مما يكتبها . تقول المذكرة :

باولو .. قابلنى على سطح البيت .. لابد أن نتكلام ..

خرج بول من غرفته ووقف يصغى . كانت الأسرة جالسة على مائدة الغداء تتكلم . زحف وقلبه يخفق إلى السطح .

كان أنطونى يتوارى فى الظلال يراقب الغروب .

قال بول :

ـ « هيه ! »

هز أنطونى رأسه .. وقال :

ـ « كيف عطلتك ؟ »

جلس بول جوار ابن عمه . وقال :

ـ « كل شىء مقرف .. فقدنا خاتم (نونا) ، ولا أحد يصدق بوجود أوركو .. وليس من حقنا الكلام معًا .. »

ـ « أعرف .. لذا نريد خطة .. »

ـ « ماذا تعنى ؟ »

أزال أنطونى خصلة شعر وقعت على عينه وقال :

ـ « طريقة التصحيح الوحيدة هى استعادة الخاتم .. »

ـ « لكنه ضاع .. »

ـ « ضاع أم سرق ؟.. ألم تر حقيبة تتدلى من حزام أوركو ؟ »

هتف بول :

ـ « بلى .. هل تحسبه أخذ الخاتم ؟ »

ـ « أين يكون غير ذلك ؟ »

قال بول :

ـ « لكننا لن نستعيده .. »

ـ « لِمَ لا ؟ »

ومد يده فى جيبه وأخرج مجموعة من الكرات الصغيرة الملونة لها فتائل ..

قنابل دخان ..

ـ « نحن نعرف كيف نعنى بهذا الأوركو .. يمكننا استعادة الخاتم ولو أحضرت الكاميرا فلسوف نثبت أن الأوركو موجود .. »

اضطربت معدة بول .. إن أنطونى لم ير الأوركو جيدًا ..

لكنه يريد استعادة الخاتم بشدة .. لقد فرا من أوركو مرة من قبل ..

كان فضوله يتزايد .. أراد أن يرى أوركو جيدًا .. ويا للشهرة التى يمكن أن تحدثها صورة !

سوف يرى أبوه الصورة .. وسوف يعتذر له .. يمكنه أن يؤلف كتابًا ..

هناك مشكلة صغيرة ..

ـ « كيف نجد الأوركو ثانية ؟ »

نظر أنطونى للجبال وكانت الشمس تسطع خلفها ..

ـ « لن نجده .. هو الذى سيجدنا .. »

الفصل السادس والعشرون

اليوم التالى كان الأحد . إجازة فى شمال إيطاليا احتفالاً بذكرى قديس لم يسمع عنه بول قط .

كان الجميع يحتفل بالصعود بالتلفريك إلى أعلى جبل هنا حيث يوجد مطعم وفندق . هناك تقام الخيام ويبدأ الرقص .

هذه أول مرة منذ أسبوع يسمح فيها للولدين بالتواجد معًا .

التقيا خلف صخرة ضخمة جوار الفندق ، حيث لا يراهما أحد . الموسيقا الشعبية الإيطالية تدوى مع أصوات المحتفلين .

ـ « مستعد ؟ »

هز أنطونى رأسه .. وقال :

ـ « معى أسلحتنا .. اتبعنى .. »

ومشى الولدان فى طريق مهجور يتجه إلى قمة الجبل البيضاء .

بعد قليل صارا محاطين بالثلج .

تساءل بول :

ـ « كم بقى لنا ؟.. »

كان نفسه قد انقطع تمامًا ..

ـ « ليس بعيدًا .. »

بعد نصف ساعة بلغا مساحة خالية حيث يقف الناس لالتقاط الصور .

لم يكن هناك أحد اليوم . هناك صخور كتبت عليها اسماء كثيرة وحولها مقاعد . فتساءل بول :

ـ « ما هذا ؟ »

ـ « هذه أسماء الناس الذين ماتوا وهم يعسكرون هنا !.. »

ابتلع بول ريقه . بينما قال أنطونى :

ـ « انظر هنا .. »

واقتاد بول إلى حافة المكان . شعر بول بدوار وهو ينظر من أعلى إلى جانب الجبل .. ولم يقدر على رؤية القاع .

قال وهو يبتعد :

ـ « سأنتظر هنا على هذه المقاعد .. »

ضحك أنطونى لكنه كان عصبيًّا كذلك .

ـ « هنا قالت صديقتى أنيتا إنها رأت الأوركو .. كانت تعسكر هنا مع أبويها .. كانت جالسة على هذا المقعد حيث تجلس أنت .. »

نظر بول للمقعد فى قلق .

ـ « رأت شيئًا غريبًا يتحرك بين الأشجار .. بدأت تصرخ فجاء أبواها .. لكن الشىء اختفى وحسبنا كلنا أنها اختلقت القصة .. »

ـ « لكننا الآن نعرف أفضل .. هل تحسبه سيظهر اليوم ؟ »

ـ « لا أعرف .. لكنه وجدك مرتين .. »

فكر (بول) : (الثالثة ثابتة) .. وارتجف .. ولم تكن رجفته بسبب البرد .

الفصل السابع والعشرون

نظر بول لساعته للمرة الثالثة خلال خمس دقائق . مرت ساعة منذ جاءا هنا .

لم تكن هناك علامة على وجود الأوركو ..

قال بول :

ـ « لا أحسبه سيظهر .. »

وحاول ألا يبدو كأنه يتمنى ذلك لكنه لم يستطع ..

مشى أنطونى قرب حافة الجبل ـ جيئة وذهابًا ـ وصاح :

ـ « لا يمكن التراجع الآن .. لنتكلم عن شىء آخر .. ماذا عن المدن الأمريكية ؟ »

صاح بول :

ـ « لا أعرف لم أنت مهتم بأمريكا هكذا ؟.. هنا أفضل .. »

هز أنطونى رأسه وقال :

ـ « أنت مخبول . يمكنك قول هذا لأنك عائد لوطنك بعد ثلاثة أسابيع .. هنا ممل جدًا .. لا توجد مولات .. لا يوجد هامبرجر .. أقرب سينما على بعد ثلاث مدن .. »

صاح بول :

ـ « هامبرجر !.. »

كانت هذه آخر قشة .. لا يجب أن يبدأ الكلام عن الطعام .

ـ « كيف تقارن الهامبرجر المعفن بطعامكم الشهى ؟ »

ـ « سهل .. إننى .. »

ثم لاحظ بول شيئًا غريبًا . لقد ظل فم أنطونى يتحرك لكنه لا يسمعه . كل ما سمعه هو ضوضاء عالية . كأنها أوركسترا من قارعى الطبول قوامها ثمانون شخصًا .

كأنه أوركو قادم ..

صاح بول :

ـ « هل تحسبه هو ؟ »

لكن أنطونى كان قد صار أبيض اللون ..

ـ « ماذا ؟ »

أشار أنطونى لشىء فوق رأس بول ..

استدار بول واتسعت عيناه رعبًا . وصاح :

- « انهيار جليدى !! »

الفصل الثامن والعشرون

لو وجدت نفسك فى انهيار جليدى ، فالصراخ بـ (انهيار جليدى) ليس أفضل شىء تفعله .

أولاً كل من حولك قد عرف هذا .. ثانيًا من السهل أن تموت بفم ملىء بالثلج .

هذا ما حدث لبول .. لثانية واحدة رأى الثلج الذى يهوى عليهما من فوق الجبل .

كأنها موجة مد ..

ثم ضربته الموجة . لم تكن كالماء بل كأنها شاحنة ضربته .

كل شىء صار أبيضًا ولم يقدر على التنفس . كان يطير نحو الحافة !

بعد ثوان ضرب شيئًا صلبًا .. وساد الهدوء ..

فتح عينيه وبصق الثلج . جلس وحك رأسه ..

كل شىء أبيض حتى إنه تساءل إن كان مات ..

نظر لأعلى فرأى حافة الهاوية .. لقد سقط على نتوء تحت مستوى وقفته .

من تحته كان فراغ هائل متسع .. لو سقط ثانية فلا فرصة أمامه ..

كل عظمة فى جسده تؤلمه ..

ثم تذكر فكرة مرعبة : أين أنطونى ؟

صاح :

- « أنطونى ! »

وزحف لحافة النتوء .

- « أنطونى ! »

ودوى صوته بين القمم .

هنا أمسكت يد بكتفه .

هتف :

- « أنطونى !.. ظننت أنك .. »

ثم استدار فتجمدت الكلمات على شفتيه ..

هذا لم يكن أنطونى ..

كان الأوركو !

الفصل التاسع والعشرون

هذه المرة رأى الأوركو جيدًا ..

إنه الآن على بعد بوصات منه ..

ذكر وجهه بول بصور رجال الكهف التى تراها فى الكتب . جبين واسع فوق حاجبين سميكين .

لكن على عكس رجال الكهف ، كانت له أسنان حادة صغيرة صفراء .

والفراء .. هناك فراء كثيف طويل بنى اللون . على كل موضع من جسده . فراء التصقت به الحشرات والقاذورات .

لاحظ هذا كله فى ثانيتين قبل أن يصرخ . مد الأوركو ذراعه حول ذراع بول ورفعه عن الأرض .

حاول بول التحرر .. لكن قبضة الأوركو كانت حديدية ..

كان على ارتفاع ثمانية أقدام فوق الأرض ، معلق كسمكة من خطاف . ومن فم أوركو سال خيط من لعاب .

بدأ الأوركو يفتح فمه ، واستطاع بول أن يرى أسنانه بوضوح .

فجأة سمع بول صفارة .

من ركن عينه رأى شيئًا يطير .. سماك !.. يضرب الأوركو فى جانب رأسه .. لكنه انفجر لدى الاصطدام ..

عوى الأوركو غضبًا .. كانت كرة ثلج قذفها أنطونى .

نظر بول لحافة الهاوية وكذا فعل ابن عمه . الذى غطاه الثلج لكنه ما زال واقفًا ..

ـ « أنطونى !.. أنت حى ! »

كان الأوركو يحيى أنطونى كذلك لكن بزمجرة مخيفة ، فصاح أنطونى . كان يتكلم الإيطالية لكن من الواضح أنها شتائم . زمجر الأوركو وبدأت أذنا بول تطنان .. حاول ألا يستنشق رائحة أنفاس الأوركو الكريهة .

ومن الجهة الأخرى راح أنطونى يشير للأوركو ، ومد يده فى جيبه .

مشى الأوركو نحو أنطونى ، وهو ما زال يحمل بول .

شد أنطونى سلاحه السرى : قنابل الدخان وعلبة الثقاب ..

زمجر الأوركو ..

– « ألق بابن عمى أيتها القطة القبيحة !.. »

صاح بول :

– « بل أنت تقصد (الكلب القبيح) .. »

– « هذا ما قلته .. »

وبدا متضايقًا ..

كانت الذراع التى يتدلى منها بول تؤلمه بشدة ..

كان ثقيلاً جدًا .. لو خرج من هذا الموقف حيًا ، فيجب أن يعمل نظامًا غذائيًا ..

شد أنطونى عود ثقاب ليشعل قنبلة الدخان ، وحكه بجانب العلبة فلم يشتعل الثقاب ...

أدرك بول فى رعب ما سيحدث .. إن الثقاب مبلل من الثلج ولن يشتعل ..

الفصل الثلاثـون

أحكم الأوركو قبضته على بول وتقدم نحو أنطونى خطوة أخرى ..

فكر بول : لقد هلكنا ..

ثم بحث فى جيبه فوجد شيئًا صلبًا ..

الكاميرا !

نظر أنطونى إلى الأوركو وراح يتراجع خطوة بخطوة .. لكن لم يكن هناك المزيد يتراجع فيه . خطوة أخرى وسوف يسقط أنطونى ويلقى حتفه .

التقط بول الكاميرا بيده الحرة بينما الأوركو يتقدم خطوة أخرى .

ضغط الزر بإصبعه فانفتح موضع الفلاش .. وتذكر أن الفلاش يحتاج لثانية حتى ينشط ..

انثنى أنطونى على قدميه مغطيًا وجهه .

لقد صار الفلاش جاهزًا ..

صاح بول :

ـ « هيه أنت ! »

استدار الأوركو لبول وزأر بصوت مخيف ..

ضغط بول الفلاش فانفجر الضوء فى وجه الأوركو .

عوى الأوركو فى غضب وتلوى وجهه القبيح حتى صار أبشع .. أسقط بول إلى الأرض وقد أعماه الفلاش ..

ـ « التقط الحقيبة ! »

انحنى أنطونى والتقط الحزمة حول حزام الأوركو ..

لم ير الأوركو شيئًا ومشى كفيفًا فى طريقه . تمكن أنطونى من الانسحاب فى الوقت المناسب . فقد الأوركو توازنه .. تأرجح على حافة الهاوية وهو يلوح بذراعيه فى قنوط ..

تمسك أنطونى بالحزام بينما الأوركو يسقط للخلف ..

أمسك بول بابن عمه من قدمه ..

انتزع هذا الحقيبة من الحزام .. ووثب الصبيان إلى الثلج ..

سقط الأوركو فوق الحافة .. فى الهاوية ..

ترددت صيحته عبر الجبال طويلاً قبل أن يموت ..

ثم ساد الصمت ..

الفصل الحادى والثلاثون

نفخ بول بقوة وقال :

ـ « وعندها تسلقنا إلى الطريق الرئيسى .. »

قال أنطونى :

ـ « وجرينا كل المسافة إلى هنا .. »

هز مستر ألبرتى رأسه مقطبًا وقال :

ـ « وأنتما تعتقدان أن هذه القصة السخيفة ستجعلنى أنسى أنكما كنتما تلعبان معًا ؟ »

صاح بول :

ـ « معنا دليل .. »

وأخرج الكاميرا من جيبه وناولها لأبيه .. تفحص مستر ألبرتى الكاميرا للحظة ، ثم هز رأسه :

ـ « الدليل الوحيد هنا هو دليل على شرود ذهنك .. فلا يوجد فيلم فى الكاميرا .. »

ـ « آه لا ! »

هنا صاح أنطونى :

ـ « لحظة . هناك الحقيبة .. إنها حقيقية .. »

صاح بول :

ـ « هلم أفرغها .. »

أفرغ أنطونى الحقيبة على الأرض ، ووجد الصبيان نفسيهما يحدقان فى كومة من عش الغراب .. فقال مستر ألبرتى :

ـ « هم .. لقد وجدتما عش غراب ممتازًا ! »

غاص قلب بول فى قدميه .. هنا قال مستر ألبرتى :

ـ « لحظة !.. لقد رأيت شيئًا لامعًا ! »

مد يده وأخرج شيئًا لامعًا براقًا .. كان هذا هو الخاتم !..

صاح بول وأنطونى :

ـ « رائع !! »

قال مستر ألبرتى فى حيرة :

ـ « لا أعرف أين وجدتما هذا .. لكن جدتكما ستسر لهذا .. »

ووقف وقال :

ـ « سوف أعطيه لها الآن ، بعدها أريد الحقيقة .. »

استدار ليرحل ، وبدأت نظرته الصارمة تذوب ..

ـ « فى نفس الوقت أعتقد ان المنع قد انتهى . يمكنكما اللعب معًا .. »

ـ « رائع !! »

بعد رحيل مستر ألبرتى نظر بول لابن عمه ، وسأله :

ـ « ماذا نقول لهم ؟.. لن يصدقوا قصة الأوركو .. »

ـ « أنت محق .. علينا اختراع قصة أفضل .. »

ـ « لا مشكلة .. سوف نفكر فى شىء ممل . الكبار يصدقون القصص المملة .. »

وتبادلا النظرات وابتسما ..

قال بول :

ـ « هيه .. متى تأتى لتزورنى فى شيكاغو ؟ »

ـ « ربما الصيف القادم .. »

وابتسم وأضاف :

ـ « سوف تكون عطلة ممتازة .. »

ـ « أصدقك .. »

ـ « أنت مجنون .. »

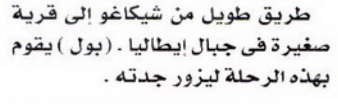
وتصافحا وضحكا .. ودوت ضحكاتهما فى الجبال بينما الشمس تتهيأ للغروب .

[تمت بحمد اللّه]

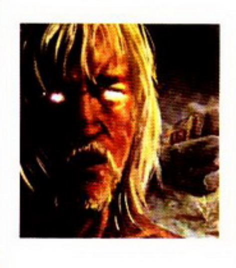
رجفة الخوف

إنه الخوف .. كل الخوف ..
ولا شىء إلا الخـــوف ..

رعب على الهضبة



طريق طويل من شيكاغو إلى قرية صغيرة فى جبال إيطاليا . (بول) يقوم بهذه الرحلة ليزور جدته .



سرعان ما يكتشف أرضا من الجمال المخيف والايمان بالخرافات .يسمع قصصا عن عفريت يتوارى فى الجبال ويلتهم الأطفال .

سرعان ما يجد (بول) نفسه منجذبا نحو الجبال .. هناك يضل طريقه ، ويصيبه الهلع ؛ إذ يقابل الرعب الذى يفوق الكلمات وجها لوجه ..

إن النهاية قريبة ؛لأن الوحش جائع !

القصة القادمة

سر جزيرة النخيل

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم



